Journal of Islamic Civilization and Culture (JICC)

JOURNAL OF ISLAMIC CIVILIZATION AND CULTURE(JICC)

Volume 3, Issue 1 (Jan-June, 2020)
ISSN (Print):2707-689X
ISSN (Online) 2707-6903
Issue: http://ahbabtrust.org/ojs/index.php/jicc/issue/view/8
URL: http://ahbabtrust.org/ojs/index.php/jicc/article/view/98/86
Article DOI: https://doi.org/10.46896/jicc.v3i01.98

Title Ethical and moral virtues in the poetry of Pre- Islamic era- (The study of Zuhair bin abi Salma)

Author (s): Muhammad Qasim Junaidi, Irshad Ahmad

Received on: 29 June, 2019
Accepted on: 29 May, 2020
Published on: 25 June, 2020

Citation: Muhammad Qasim Junaidi and Irshad Ahmad, "Construction: Ethical and moral virtues in the poetry of Pre- Islamic era- (The study of Zuhair bin abi Salma)," JICC: 3 no, 1 (2020): 338-351

Publisher: Al-Ahbab Turst Islamabad

Islamic Research Index
INTERNATIONAL Scientific Indexing
ALMANHAL
ASIAN Research Index
Crossref
Click here for more

الإشادة بالقيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي (زهير بن أبي سلمى أنموذجاً)

Ethical and moral virtues in the poetry of Pre- Islamic era- (The study of Zuhair bin abi Salma)

محمد قاسم جنيدي*
ارشاد احمد**

Abstract

The pre- Islamic era is a term which is used in Arabic poetry as well as in Islamic history among the literati and historians. It is defined as the period of time before the rising and spreading of Islam in the desert of Arab. It is also called Ignorance era, because they were not only illiterate from Islamic laws and rules but also void souls from virtuous values. They buried their daughters alive, made erroneous notations and quarreled for centuries, eulogized bloodshed and wars etc.

Among them bore a great poet Zuhair bin abi Salma (520- 611) and tried to change their lives by his noble poetry. He praised Hiram bin Sanan, the popular person and leader of his tribes by his famous eulogy for his good moral activates. He played a tremendous role for the pace of his tribe.

This article is denoted the ethical and moral virtues in the poetry of Zuhair bin abi Salma in the pre- Islamic era. It is also describes the effort of Zuhair for the peace and morality of his tribe.

Keywords: Zuhair, Islamic Values, Arabic Poetry, moral virtues

---

* باحث بمرحلة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة إسلاميه كالج بشاور.

** الاستاذ المساعد بجامعة اسلامية بشاور

الحضارة العربية تمتد لآلاف السنين، منذ أن تحدّث إسماعيل بن إبراهيم الخليل –عليهما السلام– باللغة العربية، وتوارثتها ذريته من بعده، لغةً لها سياج قوي متماسك من البلاغة وبيان المقال، كما فُتن العربي بنظم الشعر الذي يكاد يكون المظهر الثقافي المتوهّج طيلة حياة العرب، لا سيما في العصر الجاهلي قبل البعثة النبوية – على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

الشعر الذي كان معيار الرفعة والأدب لديهم، هو ديوانهم وسجلّ أيامهم، يؤدعونه ثقافتهم وتاريخهم ومعتقداتهم، يهبّون نحو نواديه في السراء والضراء، ولا يقلّ إجلالهم وتقديسهم لفحول الشعراء عن إجلال الملوك وتقديس الأنبياء.

ولاننسى أن كل هذا الزخم والهالة التي أحاطت بالشعر إبّان الجاهلية كانت في مستنقع الوثنية، التي دانت بها معظم العرب آنذاك، فلكل قبيلة صنم خاص بها، وفي كل بيت ونادٍ صنم أو أكثر، يتعبدونها ويقدمون لها القرابين والنذور، زاعمين أنها تقربهم إلى الله زلفى، مع استيقانهم بأن الله خلقهم، وهو الذي يرزق ويحيي ويميت ويتصرف في الكون كما يشاء، ومن ناحية أخرى ظلت الحياة الاجتماعية في شبه جزيرة العرب أشبه بشريعة الغاب، فالقرار للقوة، والسيادة للظلم، والغلبة لمن يعتضد بالرجال والسلاح، والحروب تستعر لأتفه الأسباب سنيناً عديدةً بين القبائل.

لكن في هذه الأجواء المتلبدة، وجد هناك من يسبح عكس التيّار الجاري، متنزهاً عن التلوث الفكري السائد، نقياً على فطرته الإنسانية، وسليقته البشرية، مدركاً خطورة ما عليه قومه العرب من مساوئ الأخلاق، ألا وهو الشاعر زهير بن أبي سلمى، الذي وظّف شاعريته لإخراج العرب من أوحال الشحناء والعداوات إلى الصلح والسلام، ومن سراديب العتمة إلى حيث نور الحكمة، ومحاسن الأخلاق، وتغنى بالصلح والسلام، ودعا إلى حقن الدماء، وإيقاف لظى الحرب التي دارت رحاها بين قبيلتين عربيتين، وحصدت أرواح أبنائهما، تلك الحرب التي استمرت على فترات متقطعة زهاء أربعة عقود.

وهذا البحث يتضمن المبحثين التاليين:

المبحث الأول: ترجمة الشاعر زهير بن أبي سلمى.

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في شعر زهير بن أبي سلمى.

المبحث الأول: ترجمة الشاعر زهير .[1]

هو زهير بن ربيعة بن رياح بن قرط، ينتهي نسبه إلى معدّ بن عدنان، واختلفت الرواة والنسابون بشأنه: هل هو من مزينة أم من غطفان؟[2]

رجح ابن قتيبة أنه من غطفان على الرغم من ذيوع نسبته إلى مزينة، ولكن الأرجح أنه مُزَنِيّ، تربى

لدى أخواله في غطفان.[3]

وتتضح الفائدة من معرفة قبيلة الشاعر بانتمائه وتعصبه وحِلفه، كما تساعد على تحليل شعره خاصة في فن الفخر.

ولد زهير في منطقة نجد شرق شبه الجزيرة العربية، وتربى يتيماً، ثم رعاه زوج أمه أوس بن حجر، ومن ثم استوطن منطقة الحاجر في نجد.

توافرت لزهير بيئة شعرية قلما تتوفر لشاعر آخر، فقد نشأ زهير في عائلة كل أفرادها شعراء، ومن أشهرهم: أبوه ربيعة (أبو سُلمى)، وخاله بشامة بن الغدير، و زوج أمه أوس بن حجر، وأختاه الخنساء، وسلمى، وكذلك كانت ذريته شعراء، مثل: ابنية كعب وبجير.[4]

المشهور أنه تزوج مرتين، الأولى بأم أوفى، ثم طلقها، والثانية بكبشة الغطفانية، أم ابنيه كعب وبجير.

عاش زهير حياته سيداً من سادات قومه، وشاعراً فحلاً ذائع الصيت في الجزيرة العربية، ومصلحا اجتماعياً، له دور كبير في إشاعة السلام بين القبائل العربية.

عاش زهير زهاء مائة عام، وتترجح ولادته بين عامي 520-530م، وقد مات قبيل البعثة، على الأرجح بين الأعوام 611م –627م، فيما ذهب بعض الرواة إلى أنه أدرك البعثة، وعلم بشأنها.[5]

وقد ذكر في معلقته بلوغه الثمانين من عمره، يقول:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم[6]

وقد أعجب الفاروق الخليفة الثاني رضي الله عنه بشاعرية زهير، والحكمة التي تتجلى في تفكيره، وتحليله لأحداث الحياة، ولهذا اعتبره أشعر الشعراء الجاهليين من العرب، بينما عده بعض النقاد أيضاً أشعر شاعر جاهلي؛ لأنه لم يكن يعاظل في الكلام، ويتجنب حوشي الشعر، ووحشي الألفاظ – كما كانت عليه الحال عند غيره من الشعراء الجاهليين–، ولم يبالغ في مديح أحد، إلا أن يُشيد ما فيه من المآثر والمكارم.

كما اشتهر زهير بأنه كان من عبيد الشعر، ينظم القصيدة، ثم ينقحها ويهذبها مرات وكرات، حتى يطمئن إلى سلامة ألفاظها ومعانيها، وقد تمكث قصيدته الواحدة لديه حولاً كاملاً، يغير فيها ويبدّل اثني عشر شهراً قبل أن يلقيها على مسامع الجمهور، وبهذا الصدد اشتهرت أربع من قصائده بـــ"الحوليات"، وهذه الطريقة في نظم الشعر هي بحد ذاته دليل على التروي والحكمة.

تضم حكم زهير مجموعة من آرائه الاجتماعية والأخلاقية، التي ترشد المجتمع الجاهلي إلى مكارم الأخلاق وسويّ الخلال، إضافة إلى الاعتراف بوجود الخالق، والبعث والحساب، وكان قريبا من آلام العرب وهمومهم، واقعياً يحكي واقع الحياة التي يعيشها العرب، ولهذا ظل زهير مرغوباً مفضلا لدى

العرب في الجاهلية.[7]

أكثر شعر زهير في مديح السيد العربي هرم بن سنان، الذي سعى للصلح بين قبيلتي عبس وذبيان، وشاعرية زهير ذات لغة متينة، وحبكة تراكيبه قوية متماسكة، يحتكم إلى العقل والفطرة الإنسانية في الخيال والتصور، ولا ينأى بخياله عن الحقائق المشاهدة الملموسة، وهو بحق أشعر الشعراء العرب الجاهليين في هذا المضمار، ولا عجب فشاعريته صورة عن حياته الشخصية، التي اشتهر فيها بالحكمة والرزانة والتعقل، وحب الفضيلة، تلك الصفات التي كانت دافعاً وعاملاً وراء اختياره وتفضيله من قبل النقاد.[8]

وقد شغف العرب منذ القدم بالحكم والأمثال، والتي بدورها تشكل انعكاساً للتجارب الإنسانية في مختلف شعب الحياة، وتدعو إلى مكارم الأخلاق، وحميد الخصال، وقد ظل العرب يتناقلون هذه الأمثال والحكم في الشعر والنثر، ويضمنونها في خطبهم، فمن الشعراء الذين اشتهروا بتداول الحكمة: عبيد بن الأبرص، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، ومن الخطباء الحكماء: قس بن ساعدة الإيادي، وأكثم بن صيفي.

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في شعر زهير بن أبي سلمى.

القيَم لغةً: جمع قيمة، بمعنى الثمن والسعر، كما تعني المحافظة، والقوام: العدل والنظام، وتضم المعاني اللغوية لها عدة معانٍ، منها: العدل، والمحافظة، والتمسك بالحق، والاعتدال.[9]

بينما ذهب الفلاسفة في التعريف الاصطلاحي للقيم إلى عدة آراء، منها: القيم هي تلك المعاني التي تعدّ حسنةً لذاتها، أو: هي معايير أخلاقية ترادف النظام والقانون، أو: هي نشاطات يكفل وجودها تحقيق الوجود الإنساني.[10]

أما المفهوم الإسلامي للقيم الأخلاقية؛ فيشمل (هي مجموعة من الأمثال العالية، و المعايير الرفيعة، والغايات الثمينة، و السلوك الفردية و الاجتماعية، مصدرها الله عزوجل).[11]

والقيم الأخلاقية تشمل اتجاهين رئيسين: علاقة العبد بالخالق، وعلاقة العبد بأفراد المجتمع، كما تتّسم القيم الأخلاقية في الإسلام بأنها ربانية المنهج، وبالعدل، والوسطية، والواقعية، وهي صالحة لكل عالم وكل زمان، كما تترتب عليها المثوبة الدنيوية والأخروية.

وتتنوع مظاهر القيم الأخلاقية في شعر زهير، وتشمل عدة اتجاهات، وألخص فيما يلي طرفاً منها:

1- يؤمن زهير بأن علم الله تعالى محيط بكل ما في هذه العوالم، لا تخفى عليه خافية، بل يعلم كل شيء حتى ما تكنه الصدور من السرائر، وأن الله تعالى سيحاسب عباده يوم القيامة، يقول زهير:

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في نُفوسكم لِيَخفَى ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ
يُؤَخَّرْ فيُوضَعْ في كتابٍ فيدَّخَرْ ليوم الحسابِ أو يُعَجَّلْ فيُنقَمِ[12]

فهذه الأبيات تصريح واضح بعقلية الشاعر التي تنصح بعدم كتمان شيء من الخالق، الذي مهما حاول العبد أن يكتم عنه سراً فلن يستطيع، بل الكل في علم الله، يكتبه عنده في كتاب، يحاسب بمقتضاه العبد يوم القيامة، وقد يعجل الله تعالى العقوبة على الذنب الذي يقترفه العبد، فيعاقبه به في الدنيا قبل الموت.

و نرى فكر الشاعر صالحاً في ذات الله تعالى لِأنّه يشير إلى علمه القديم و قدرته على القلوب و بصارته القوية في أنفاس الخلائق، و هو الّذى يعلم ما في الصدور.

إنَّ الشاعر يستخدم كلمتين في بيت الأول "الكتمان" و " الإخفاء"، أنَّ الكتمان يتعلق بالسكوت أي لا تريد ذكر الشيء بل أنت تسكت من بيانه و أيضاً يتعلق بالأمور العقلية أي غير مرئية. و أمَّا الإخفاء يتعلق بالسكوت و غيرها من الأمور يعنى إنه أعم من الكتمان كما أنت تقول: أخفيتُ الجوال في ملابسى. و لا تقول كتمتُ الجوال في ملابسي لانَّ الجوال هو الشيء الحسي المرئي.

ولاشك أن الإيمان بعلم الله تعالى المطلق يشكل تصورا واضحاً لدى العبد بأن الله لن يترك عباده هملا دون محاسبة، بل كل صغيرة وكبيرة يكتبها الكتبة في صحائف الأعمال، وعليها جزاء وعقاب، إما عاجلاً أو آجلاً.

و كما نرى إنَّ في قلب الشاعر بعض الأمور الإسلامية قد نبتت قبل ظهورها و ازدهارها لِأنَّ فكره التربوية و الاصلاحية قد ترعرت في نفسه و تغلغلت في ذهنه الصالح للمجتمع و البيئة العربية.

2- أشار الشاعر إلى مفهوم التقوى قائلاً:

ومن ضَريبته التَّقوى ويَعصِمُه من سيِّئ العثَرَاتِ اللهُ والرحِمُ[13]

ويقصد بالتقوى ذلك الحائل الذي يحول بين العبد والشر، ويرغبه في الخير، وقد مدح زهير ممدوحه السيد العربي هرم بن سنان بهذه الصفة قائلاً:

والسِّترُ دونَ الفاحشاتِ وما يَلقاك دونَ الخير من سِترِ[14]

كما يحلل مفعول التقوى بأنها العامل وراء القناعة، التي وصفتها العرب قديما بكونها كنزاً ليس له فناء، يقول زهير:

تَقيٌّ نقيٌّ لم يُكثِّرْ غنيمةً بنَهكةِ ذي قُربى ولا بحَقَلَّدِ[15]

كما يشير زهير إلى أن التقوى سبب وراء تقوية الإيمان بالله، ووجوده وحياته، وأنه المتولي وحده

لأمور الكون:

بدا ليَ أنَّ الله حقٌّ فزادني إلى الحقِّ تقوى اللهِ ما كان بادِيَا[16]

3- **الغيرة:**

يعدّ الشاعر زهير الغيرة من الخصال المحمودة، التي يجب على الإنسان أن يتمسك بها، في جميع أموره دقها وجلها، وأن لا يستصغره أحدٌ مهما كان شأنه، ويقول:

فصَرِّمْ حبلَها إذْ صرَّمتْهُ وعادَك أن تُلاقِيَها العَداءُ[17]

شبه الشاعر المودة هنا بالحبل على سبيل الاستعارة التصريحية، والتصريم المراد به الترشيح وتقوية للتشبيه.

عادك يحتمل معنيين: شغلك وصرفك ولكن الشاعر هنا يقصد معنى آخر غير هذين المعنيين: أي عادك بمعنى عاد إليك، وملخص القول: اقطع مودتها حيث قطعت هي مودتك، وحال بينك وبينها صارف يمنعك عن لقاء بها، ونسبة الصرف إليه مجاز عقلي من قبيل الإسناد إلى السبب أو الآلة.

4- **الشجاعة:**

تحلى العرب بالشجاعة، وتغنوا بها، وقد دأب الشعراء العرب في مقام الفخر أن يعلوا من شأن خصومهم وأعدائهم؛ لا لشيء إلا أن يتفاخروا بمبارزة الأشداء ومقارعتهم، وكسر شوكتهم، وأنهم يأنفون من مجابهة الضعفاء الخائرين.

ومن الصفات التي مدح بها زهير هرما صفة الشجاعة:

ولأنتَ أشجَعُ حين تتَّجهُ الْ أبطالُ مِن ليثٍ أبي أجْرِ[18]

اللام هنا للتوكيد، والأشجع صيغة التفضيل، والموعد موعد الحرب، والتشبيه بالأسد الذي يصطاد من أجل ولده،أي أنت بالضبط أسد خاصة حين يواجه بعض الأبطال بعضا في الحرب. الأجري جمع جرو وهو ولد الأسد، والتشبيه بالليث الذي يصطاد من أجل ولده الجائع فهو في هذا الحين لا يكون على حذر من خطر مهما كان عظيما.

كما يمدح هرما وعشيرته قائلاً:

جِنٌّ إذا فزِعوا، إنسٌ إذا أمِنوا مُمَرَّدون بَهَالِيلٌ إذا جَهَدُوا[19]

وفي المقابل يهجو زهير آل حصين بأنهم جبناء كالنساء، بقوله:

وما أدري، وسوفَ إخالُ أدري أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ[20]

5- **صون اللسان عن الكلام البذئ:**

ويقول زهير في هذا المعنى:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم[21]

فيه التكرار كما في قوله تعالى: "وتراهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد". (الحج :2) يوضح الشاعر هنا مكانة اللسان والقلب ومدى حسن التوافق بينهما. اللسان هو مرآة داخل النفس الإنسانية، والنطق فضيلة امتاز بها الإنسان على الملائكة، والنطق المراد المراد منه إدراك المعاني الكلية. والقلب مصدر لجميع ما يتداخل في النفس الإنسانية فإذا كان هناك حسن الانسجام بين اللسان والقلب كان المرء على أوج الخلق. ولذا دعا موسى عليه السلام أولا انشراح الصدر ثم الإفصاح في النطق.

الوفاء:

تفاخر العرب بصفة الوفاء بالوعود والعهود، لا يخونون إن قطعوا وعداً، ولا يغدرون إن عاهدوا، وقد اشتهرت في العرب وقائع كثيرة شهدت تضحيات جسيمة في سبيل الوفاء، مثل: قصة السموأل، الذي قُتل ابنه على يد الأعداء، لكنه لم يخن، بل أوفى بوعده.

ويقول زُهير عن الوفاء:

وإمَّا أن يقولوا: قد وَفَينا بذِمَّتنا فعادتُنا الوَفاءُ[22]

ويقول في الحارث مادحا له:

أو صالَحُوا فله أمْنٌ ومُنتَقَذٌ وعقدُ أهلِ وفاءٍ غيرِ مخذولِ[23]

6- **الجود:**

السخاء والجود من العادات المستطابة المتأصلة في العرب، فكانوا يجودون بأموالهم للضيف والسائل والمسكين وابن السبيل، وفي القحط والجدب خاصة، حتى يوشك السخي أن يصبح فقيراً من كثرة ما ينفق، وقد اشتهر منهم في المضمار حاتم الطائي، ومن أكثر الصور مبالغة في وصف السخاء عند العرب قول الشاعر:

فلو لم يكنْ في كَفِّه غيرُ نفسِه لجاد بها، فليتَّقِ اللهَ سائلُهْ[24]

ويمدح زهير ممدوحه هرما بالسخاء والجود قائلاً:

وأبيض فياض يداه غمامة على معتفيه ما تغب فواضله[25]

أبيض: ريد منه رجلا نقيا من العيوب، الفياض: الكثير العطاء، أصله من الفيض، يداه غمامة: أي تمطر يداه بالعطاء كما تمطر الغمامة، المعتفون: الطالبون ما عنده، يقال: عفاه واعتفاه إذا أتاه يسأل ما عنده، قوله ما تغب فواضله: أي هي دائمة لا تنقطه، ولا تأتي في الغب، فواضله:

عطاياه.

ويوضّح زهير بأن ممدوحه هرما لا ينتظر جزّاء جوده شكراً ممن أنفق عليهم من المعوزين، ويكون في غاية الاستياء حين يستجدى شيئاً وهو لا يملكه، ويقول:

هو الجَوادُ الذي يُعطيك نائلَه عفوًا ويُظلَم أحيانًا فيَظَّلِمُ[26]

7- **الأنفة من الضَّيم:**

في خضم دعوة الشاعر إلى الصلح والسلام، ونبذ القتال وكراهيته؛ إلا أنه يشدد على ضرورة الحياة الكريمة، والوقوف في وجه الظلم والضيم، وعدم الصغار، وهو يمدح حِصنَ بقوله:

ومَنْ مثلُ حِصنٍ في الحروب ومثلُه لإنكارِ ضيمٍ أو لأمرٍ يُحاولُهْ

عزيزٌ إذا حلَّ الحليفان حولَه بذي لَجَبٍ لجَّاتُه وصواهلُهْ[27]

الحليفان: بنو أسد وغطفان، كانوا حلفاء على بني عبس وغيرهم، وفزارة من ذبيان رهط للممدوح من غطفان، يقول: إذا حلوا حوله نصروه وأعزوه. واللجات: اختلاط أصوات الناس، والصواهل معروف: أصوات الخيل، وأراد بلجات أصحاب اللجات، ورفعها بما في قوله ذي لجب من معنى الفعل والتقدير بح لجب أصحاب لجاته وصواهله.

ويمدح هرم بن سنان:

جريءٍ متى يُظلَمْ يعاقِبْ بظلمه سريعًا وإلا يُبْدَ بالظلم يَظلِمِ[28]

ثم يختم هذه النظرية بقوله:

ومن لم يذُدْ عن حوضِه بسِلاحِه يُهَدَّمْ ومَن لا يَظلِمِ الناسَ يُظلَمِ[29]

8- **المجد:**

لفظة المجد تجمع في طياتها الكثير من المناقب والفضائل، وقد افتخرت العرب بالمجد، وتفاخروا وتغنوا بأنهم ورثاء أمجاد آبائهم وأجدادهم، كما لقنوا هذا المبدأ بنيهم من بعدهم، ولزهير في هذا الصدد:

إذا ابتدرَتْ قيسُ بنُ غَيلانَ غايةً مِن المجد من يَسْبِقْ إليها يُسَوَّدِ

سبَقتَ إليها كلَّ طلْقٍ مُبَرِّزٍ سَبُوقٍ إلى الغايات غيرَ مُجَلَّدِ[30]

وينوّه زهير بشأن السخاء والكرم وأنه من عوامل نيل المجد:

فضَّلَه فوق أقوامٍ ومجَّدَه ما لم يَنالوا وإنْ جادوا وإن كَرُموا[31]

كما يسطر زهير مبدأ آخر بأن المجد مدعاة للقوة والغلبة:

لولا ابنُ زرقاءَ والمجدُ التليدُ له كانوا قليلاً فما عزُّوا ولا كثروا[32]

وكذلك يشير إلى أن المجد علو ورفعة شأن وعظمة:

عظيمَيْنِ في عَليا مَعَدٍّ هُدِيتُما ومَنْ يستَبِحْ كنزًا من المجد يَعْظُمِ[33]

9- السلام والصلح:

العرب أمة حربية مقاتلة، مولعة بالحروب والغارات والمعارك، حتى كادت هذه الحروب تبيد بعض القبائل العربية، وتمحيها من ظهر البسيطة، لكنهم رغم ذلك كله يتعطشون إلى السلم والاستقرار كذلك، وهذا هو أجلّ المعاني التي تغنى بها زهير، وكانت سبباً في سطوع نجمه، فما إن بادر اثنان من صناديد العرب إلى طرح مبادرة للسلام، رافعين راية الصلح بين القبائل؛ حتى هرع زهير إلى قوافي شعره، يسبكها في قصائد ماتعة، يمدح بها ويطري الزعيمين العظيمين، اللذين تعهدا بدفع الديات، وإيقاف حمام الدم بين العرب، ومن ذلك قوله:

وقد قلتُما: إنْ نُدرِكِ السِّلمَ واسعًا بمالٍ ومعروفٍ من القولِ نَسلَمِ

فأصبَحتُما مِنها على خيرِ مَوطنٍ بَعيدَينِ فيها مِن عُقوقٍ ومأثَمِ[34]

كما يشيد بضرورة الصلح، وشدة الافتقار إليه:

خُذوا حظَّكم من ودِّنا، إنَّ قُرْبَنا إذا ضرَّسَتْنا الحربَ نارٌ تسَعَّرُ

وإنا وإيَّاكم إلى ما نَسومُكم لَمِثلانِ أو أنتم إلى الصُّلح أفقرُ[35]

كما يضع أساساً لدرأ القتال والشجارات، بالمصانعة والمجاملة، التي يقع من لا يحسنها بين المطرقة والسندان، ويواجه المشاكل في كل موقف من مواقف الحياة:

ومَن لم يصانِع في أمورٍ كثيرة يُضرَّسْ بأنيابٍ ويُوْطَأ بِمَنْسِمِ[36]

10- أداء حقوق ذوي القربى، وصلة الرحم:

صلة الرحم والإحسان إلى الأقرباء من عظائم الشعائر الدينية، كما أن النفقة على القربى أعظم أجراً من النفقة على غيرهم، وبهذا الصدد يمد وهير ممدوحه هرما بقوله:

إن تَلْقَ يومًا على عِلاَّتِه هَرِمًا تَلْقَ السماحة منهُ والنَّدَى خُلُقا

وليس مانعَ ذي قُربى وذي رَحِمٍ يومًا ولا مُعدِمًا من خابطٍ ورَقَا[37]

قوله "على علاقه" يريد: إن تلقه على قله مال أو عدمه تجده سمحا كريما فكيف به وهو على غير تلك الحال. وقوله "معدما" من خابط يريد ولا معدما خابطا، و"من" زائدة لاستغراق معنى الجنس، والخابط طالب المعروف، فمعنى القول: أن الرجل يضرب الشجر ليحت ورقه فيعلفه الماشية، فسمي كل من طلب بغير يد ولا معروف خابطا. المعدوم: المانع، يقال: أعدمت الرجل إذا منعته وجعلته ذا عدم لما طلب وصفه بإعطاء القريب والبعيد.

كما يقول مشيراً إلى إيثار المعوزين على أهل البيت:

تقيٌّ نقيٌّ لم يكثِّر غنيمةً بنَهكةِ ذي قُربى ولا بحَقَّلَّدِ[38]

11- **الكرم:**

الكرم من أنبل الخصال البشرية، التي تجمع عدة صفات في جهات مختلفة، فالكرم يشمل كرم الأخلاق والمعشر، وكرم المال، وكرم الجاه، وكرم العلم، وغيرها، وقد نادى بها زهير بني قومه من العرب داعيا إياهم إلى التحلي بها، ومن هذا القبيل يمدح سنان المري بقوله:

إلى مَعشرٍ لم يُورِث اللؤمَ جَدُّهم أصاغِرَهم، وكلُّ فحلٍ له نَجْل[39]

كما أنشد مادحاً هرم بن سنان:

لو كان يَقعُد فوق الشمسِ من كرمٍ قومٌ لأولُهم يومًا إذا قعَدوا

لو يُعدَلون بوزنٍ أو مُكايَلةٍ مالوا برضوى ولم يُعدَلْ بهم أحدُ[40]

ويبلغ الغاية في التعبير عن الكرم بقوله:

لو نال حيٌّ من الدنيا بمنزلةٍ وَسْطَ السماءِ لنالَتْ كفُّه الأفُقَا[41]

12- **الصدق في الأقوال، ومطابقتها لواقع الحال والأفعال:**

افتخرت العرب ضمن محاسن الأخلاق بصدق اللسان، ومماثلة القول للفعل، يقول أحد الشعراء:

القائلُ القولَ الذي مِثلُه يَمْرَعُ منه البلدُ الماحِلُ[42]

ورغم انصراف الشعراء العرب إلى المبالغة والتهويل في أشعارهم، إلا أن أحدهم يقرر بأن أفضل أشعارهم أصدقها، التي لو سمعها الجمهور اعترفوا بصدق قائلها:

وإنَّ أحسنَ بيتٍ أنت قائلُه بيتٌ يُقال إذا أنشدتَه: صَدَقَا[43]

وزهير أيضاً يمدح سِنان بن أبي حارثة وقومه بالصدق قائلاً:

وفيهم مَقامات حِسانٌ وجوهُهم وأندية ينتابها القولُ والفعلُ[44]

13- **قوة العزيمة:**

قوة العزم والثبات عليه أمرٌ محمود وواجبٌ، وقد مدح زهير حصن بن حذيفة بن بدر، وكان من ضمن ما أطراه به قوة عزمه منشداً:

فأقصَرَنَ منه عن كريمٍ مُرزَّأٍ عَزومٍ على الأمر الذي هو فاعلُهْ

أخي ثقةٍ لا تُتلِفُ الخمرُ مالَه ولكنه قد يُهلِكُ المالَ نائلُه[45]

14- **الأمن:**

من أعظم الأمور التي نادى بها زهير الأمن، والتوقف عن الشجار والنزاع والصراعات الدامية، التي تأتي على الأخضر واليابس، وتستأصل الحرث والنسل، وهي أصل كل بلاء، وقد كان زهير حقاً هو

رجل السلام والصلح في العصر الجاهلي، نذر نفسه لإشاعة هذا المعنى في شعره، ومن ذلك قوله:

وما الحرب إلا ما عَلمتُم وذُقتمُ وما هو عَنها بالحديثِ المرجَّمِ

فتُغلِلْ لكم ما لا تُغِلُّ لأهلِها قُرًى بالعراقِ مِن قَفيزٍ ودِرهَمِ[46]

15- **صون اللسان عن السباب والشتم:**

السباب والشتائم من الصفات المذمومة، والسابّ لا يسبّ إلا نفسه، لأنه لا ينبغي لأحد أن يحط من قدره بشتم من هو دونه، وكذا لو شتم من هو فوقه في المجد والخلق فكأنه شتم نفسه، فهو في كلتا الحالتين مذموم، إضافة إلى أن السب والشتم يورثان مثلهما من الجانب المقابل، فكأن المرء فضح عورته بنفسه، يقول زهير بهذا الصدد:

ومَن يجعَلِ المعروفَ مِن دونِ عِرضِه يَفِرْه ومن لا يتَّقِ الشتمَ يُشتَمِ[47]

16- **احترام الذات:**

يجب على المرء أن يحترم ذاته الإنسانية أولاً، فلا يقترف ما ينفر عنه الناس، ولا يحط من قدر نفسه بأفعال شنيعة، يزدريه بها مجتمعه، وإلا فلن يجد من يكرمه ويحترمه بعد أن أهان نفسه، وهذا المعنى صاغه زهير في شطر بيت قائلاً:

ومَن يَغترِبْ يَحسِبْ عدوًّا صديقَه ومَن لم يُكرِّمْ نفسه لم يكرَّمِ[48]

17- **الترفع عن الاستجداء:**

سؤال الناس المال واستجداءهم أمر قبيح، منع منه دين الإسلام، والعرب في العصر الجاهلي أيضا أنفوا منه، والشاعر يصور هذا المعنى في القالب الشعري، بأن المانح سيعطي ويعطي، ولكن مع كثرة الاستجداء سيضطر إلى صرف السائل دون عطاء، ولذا يجب حفظ ماء الوجه عن مذلة السؤال، ويقول زهير منشداً:

سأَلنا فأعطيتُم وعُدْنا فعُدتُمُ ومَن أكثرَ التَّسْآلَ يومًا سيُحرَمِ[49]

18- **ذم البخل والشح:**

الشاعر الجاهلي يذم البخل وينهى عن الاتصاف به، بل يدعو إلى إنفاق المال وصرفه على المعوزين والمساكين، يقول الشاعر زهير:

إنَّ البخيلَ مَلومٌ حيث كان ول كنَّ الجَوادَ على عِلاَّته هَرِمُ[50]

19- **الصبر:**

اتصف العرب بالصبر، وتواصوا به، عند حلول الخطوب والرزايا والبلايا، ودعا إليه الإسلام، قال تعالى:{إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب}.[51]

يقول زهير في مدح هرم بن سنان وإخوتَه:

قَودُ الجياد وأصهارُ الملوكِ وصُبْ رٌ في مواطنَ لو كانوا بها سَئِمُوا[52]

20- **البرُّ:**

لفظة البِر تجمع الخير كله، من الوفاء بالوعود والعهود، ومواساة الأقارب، وطاعة الوالدين، وإنفاذ الأيمان، وترك العقوق والغدر، يقول زهير مادحاً المتصفين بالبر:

ومَن يُوفِ لا يُذمَمْ ومن يُهدَ قلبُه إلى مطمئنِّ البِرِّ لا يتجمجَمِ[53]

References

1. Muhammad bin Salam al jumhi, Tabaqat fahool al Shoa'ara, dar al madani, Jidda, 51/1
2. Abi al faraj, al aghani, dar ihay al turath al Arabi, Beirut, 1415h, pp. 443/10
3. Ibn Qatiba al dinori, Al shaiar wa al shioa'ara, Cairo, 137/1
4. Muhammad bin Imran al marzabi, mua'jam la shoa'ra, darul kutub al ilmia, Beirut, 1982, pp. 227
5. Muhammad bin Habib Abi jafar, al Muhbar, darul ifaq al jadida, Beirut, pp. 282
6. Diwan Zuhair bin Abi Salma, hamas wa tamas, v2, pp. 70, darul ma'rifa, Beirut, 2005
7. Izzuddin Ismail, al usas al jamalia fi al naqad al Arabi, darul fikar al Arabi, v3, pp.260, 1974
8. Shoqi zaif, tarikh al adab al Arabi al A'asar al jahili, dar al ma'arif, Cairo, pp. 324,325
9. Ibn al Manzoor al Afriqi, lisan al Arab, dar Sadir, Beirut, t3, 1414h, 496/12
10. Abdullah al Amin, al Istishraq fi sirat al Nabi Saw, mujalla tafakkur, v1, 2009
11. Al Qaisi, Marwan Ibrahim, al manzoma al qimia al islamia, t1, 1996, 32/2
12. Diwan Zuhair, pp. 68
13. Ibid, 62
14. Ibid, 33
15. Ibid, 25
16. Ibid, 76
17. Ibid, 10
18. Ibid, 32
19. Ibid, 21
20. Ibid, 13
21. Ibid, 71
22. Ibid, 13
23. Ibid, 56

24. Abi Tamam al Tai, al Bait, bain al mutanabi wa khasoom, matba'a Eisa al Bani, 216/1
25. Abu al Abbas Salab sharah Diwan Zuhair bin Abi Salam, dar al kitab al Arabi, Beirut, 2004, pp. 174
26. Daiwan Zuhair, 60
27. Ibid, 54
28. Ibid, 69
29. Ibid, 70
30. Ibid, 25
31. Ibid, 62
32. Ibid, 28
33. Ibid, 67
34. Ibid
35. Ibid, 27
36. Ibid, 70
37. Ibid 38
38. Ibid, 25
39. Ibid, 48
40. Ibid, 21
41. Ibid, 38
42. Abu Hilal al Askari, Diwan al Ma'ani, mowqia' al waraq, 13/1
43. Diwan Zuhair, 38
44. Ibid, 50
45. Ibid, 54
46. Ibid, 68
47. Ibid, 70
48. Ibid, 70
49. Ibid, 71
50. Ibid, 60
51. Ibid, 10
52. Ibid, 62
53. Ibid, 70